

# ابن رشد وموقفه من الرحلة في طلب العلم والدين

[450-520هـ/1058-1126م]

أفيلاليس بلقاسم

جامعة الأمير عبد القادر

مقدمة:

كثيرا ما ترتبط الرحلة من حيث الإقبال عليها أو الإدبار، بأسباب خارجة عن نطاقها، فعلى الرغم من توفر الفسحة بالزمام لطلبة العلم بالارتحال في طلبه مشرقا ومغربا، وفتاوى العلماء التي تحث على ذلك كثيرة، بل قد تنتقص من لم يقوم بالرحلة، وتجعله غير مؤهل للفتوى أو الحكم أو القضاء وغيرها، ورغم أن الرحلة إلى الحج فريضة على المستطيع بنصوص الكتاب والسنة، وحث الكثير من العلماء في الفتاوى والقصائد الدينية على واجب الزيارة الدينية، ورغم المكانة التي يحظى بها الحاج في اجتماع الأندلسي، إلا أننا وجدنا أن هناك من كبار العلماء من لم يقيم بهذا الواجب ولا أدى تلك الشعيرة الدينية، مثل شخصية الفقيه المالكي ابن رشد الجد، وعليه يمكن طرح الإشكاليات التالية:

- ما هي المكانة التي حظي بها ابن رشد الجد في الأندلس، وكيف استطاع ذلك رغم عدم قيامه بأية رحلة في طلب العلم أو غيرها.
- ماهي أسباب عزوف ابن رشد عن الرحلة في طلب العلم، وهل توفر له في موطنه بقرطبة ما شغله عن الرحلة العلمية، وهل هناك رحلات وقعت في الفترة التي بلغ فيها ابن رشد سن الرحلة، وإن كانت فهل نجحت أم لا؟
- وماهي الظروف التي احتج بها ابن رشد عن عدم قيامه بالرحلة، رغم ما يوصف به عدم المرتحل من نقائص، وهل هناك رحلات وقعت في فترة بلوغ ابن رشد سن الرحلة إلى الحج، وهل نجحت تلك الرحلات أم فشلت؟

أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد المالكي<sup>1</sup>، أول شخصية عرفت من العائلة، شخصية أحمد بن أحمد بن محمد بن رشد<sup>2</sup>، وهو والد القاضي أبي الوليد الجند، ووصف بأنه كان من أهل العلم والعدالة، كان حياً سنة 482هـ/،

1. ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي [450 520 هـ/ 1058 1126 م]، أنظر ترجمته في: ابن بشكوال أبي القاسم خلف ابن عبد الملك [494 578 هـ]: كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلماهم ومحدثهم وفقهائهم وأدباهم، نشر وتصحيح: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1414هـ/ 1994م، ج2، 546، والقاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عبدون بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي [476 544 هـ/ 1083 1149 م]: الغنية، (فهرست شیوخ القاضي عياض) تح: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص54، النباهي أبو الحسن بن عبد الله المالقي [713 بعد 792 هـ/ 1313 1389 م]: كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا [تاريخ قضاة الأندلس] دار الطباعة والنشر والتوزيع بيروت، بلا: تا، ص: 99، ابن عذاري الإدراكشي أبو العباس أحمد بن محمد توفي في النصف الأول من القرن 7هـ (حيا سنة 712 هـ/ 1312 م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ح، س، كولان، وإ، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، بلا: تا، ج1، ص310، ابن سعيد علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك [610 685 هـ/ 1213 1286 م]: المغرب في حيا المغرب، تح: شوقي ضيف، مصر، ط4، ج1، ص105، وابن عبد الملك المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: محمد بن شريفة، دار الثقافة بيروت، بلا: تا، السفر الأول، القسم الثاني، ص440، ابن الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد ذي الوزارتين (لسان الدين) [677 713 هـ/ 1277 1313 م]: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، ط1، 1329هـ/ 1911م، ص90، ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر اللادي [710 و720 هـ/ 1310 و1320 م]: كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط، 1972م، ص164، وابن العماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد 1089هـ: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي بيروت، بلا: تا، للجلد الثاني، ج4، ص62، محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، بيروت، ط11، بلا: تا محمد بن، ص129.

2. ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الأول، القسم الثاني، ص440

وهو بديعة عهد المرابطين بالأندلس. ورمى أشهر أحمد هذا بشهرة ابنه الفقيه المراكشي مشهور بابن رشد الجند [450-520هـ]، ثم زادت أسرة ابن رشد شهرة بابن رشد الحفيد<sup>2</sup> [520-595هـ] بعد ذلك، أما قبلهما فلا توفر المصادر شيئا يذكر عن نسب عائلة ابن رشد في العرب أم في العجم، ولعل أوضح إشارة إلى ذلك، تعبير ابن رشد الحفيد [520-595هـ] أثناء المحنة بنسبه، حين نفي سنة 593هـ إلى اليشانة مدينة اليهود<sup>3</sup>، فقالوا إن ذلك كان عملا بقول من قال أنه ينتسب في بني إسرائيل، وأنه لا يعرف له نسب في قبائل الأندلس، وهذا ما يؤكد الجهل التام والعموض المتعلق بنسب هذه العائلة<sup>4</sup>، وزادها غموضا عدم رد ابن رشد الحفيد [520-595هـ] على خصومه بإثبات نسه في أي مؤلف من مؤلفاته على كثرتها. وكل ما ذكر في نسب العائلة، يذكر أيضا عن المكان الذي كانت تسكنه قبل استقرارها واشتجارها بقرطبة، ماعدا إشارة بسيطة إلى أن أصل العائلة كان من سرقسطة<sup>5</sup>، مع عدم توضيح أسباب وظروف انتقال العائلة إلى قرطبة<sup>6</sup> واستقرارهم واشتجارهم بها.

- 1 عمر بن حمادي: الفقهاء في عصر المرابطين، رسالة ماجستير (شهادة التعمق في البحث)، تاريخ وسيط، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، سنة 1987م ص282.
- 2 ابن رشد أبو الوليد محمد بن أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد [520 595هـ]، انظر ترجمته في: ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج2، 554، وابن الأبار أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي: التكملة لكتاب الصلة، تح: عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة بمصر، 1375هـ/1955م، ج2، ص554، وابن سعيد: المغرب، ج1، ص104، وعبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب: تح: محمد زينه محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع 1414هـ/1994م، ص203 204، وابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر6، ص21 29، ومحمد بن محمد مخلوف: شجرة النور، ص146
- 3 اليشانة: مدينة قرية من قرطبة، مشتهرة بسكنى اليهود إياها، ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر6، ص27.
- 4 عمر بن حمادي: الفقهاء في عصر المرابطين، ص282
- 5 ابن بشكوال: كتاب الصلة، ص554
- 6 عمر بن حمادي: الفقهاء في عصر المرابطين، ص282

روى بقرطبة عام (1043هـ/1634م) وما سأل وتعلم على يد أعلام علماء الأندلس وعاش في القرن 5هـ/11م، في أكبر مركز ثقافي مزدهر في الأندلس<sup>1</sup> ولا يذكر له خروج من قرطبة، وبما تكون، ورابط في كتابها ومساجدها، إلى أن تخرج منها وحدها فقط، وصار عالما تشد إليه الرحال، ولما اشتغل تولى أعلى المناصب فيها، وكان من أوفى الناس لمدينته وبلدته، وم يزادر قرطبة بحال، ولم تسجل له رحلة تذكر في طلب العلم خارجها، وذلك لما توفر له من فرص بها، فهي لا تزال حاضرة الأندلس ودار علم، يقصدها الطلبة، فكيف يترك هذا الجو ويخرج عنه لغيره، أما خروجه إلى مراكش فكان سنة 519هـ، قبل سنة من وفاته، ولم يدخل مراكش متعلما، بل موجهها ومستشارا ومشاورا ومشيرا على أمير المسلمين<sup>2</sup> بأمور الرعية وما يصلحها وما يتفعلها، ومسديا له مختلف النصائح في السياسية وغيرها<sup>3</sup>.

- 1 ابن رشد محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله [450 520هـ]: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ج1، ص13، أبو الحسن النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص99، ومحمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ص129.
- 2 أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين، كان فقيها حسن السيرة تزيه النفس بعيدا عن الظلم، يند في الزهاد والمتلين، أخذت له البيعة سنة 496هـ، وجددت له بعد وفاة أبيه بمراكش سنة 500هـ وسنه 23 سنة، وملك جميع بلاد المغرب من بجاية إلى السوس الأقصى وبلاد القبلية من سجلماسة إلى جبل الذهب من بلاد السودان، وجميع بلاد الأندلس وملك الجزائر الشرقية ومبروقة ويااسة، مهد له والده الحكم فوجد البلاد هادئة، والأموال وافدة والملك قد توطد، وكان رجلا حليما وقورا صالحا منقادا للعق والعلماء، وأقام بالعدل وتولى الجهاد، وسرح السجون وفرق الأموال وسار سيرة أبيه، توفي في شهر سنة 537هـ، ومولده سنة 476هـ، عبد الواحد المراكشي المعجب، ص: 149-150، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 156، 165، 157، ابن الخطيب الحلل الموشية، ص: 85، وابن أبي دينار المؤنس، ص: 99، والنويري نهاية الأرب، ص: 391، وابن خلكان: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان [608 681هـ/1211 1282م]: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار البصائر بيروت، بلا: ج7، ص: 123 125، رقم: 844.
- 3 في سنة 519هـ، جاز إلى مراكش، وأشار على أمير المسلمين ببناء سور مراكش، لتحصيتها لما ظنير أمر المهدي، توفي سنة 520هـ ومولده سنة 450هـ: أبو الحسن النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص: 99، ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، 310، ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص: 90 ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 164.

نعتمد في دراسة الجانب الختفي والإنساني في شخصيته: على ما نقل من أوصافه في كتب التراجم، ومنهم القاضي عياض الذي وصفه بقوله: حسن الدين كثير الحياء، قليل الكلام متمسكاً بزبها<sup>1</sup>، وقال ابن بشكوال: من أهل الرياسة في العلم والبراعة والفهم مع الدين والفضل والوقار والحلم والسمت الحسن، وأهدى الصالح: كان يصوم يوم الجمعة في الحضر والسفر... تقلد قضاء قرطبة وسار فيه بأحسن سيرة، وأقوم طريقة، وكان حسن الخلق سهل اللقاء كثير النفع لخاصته وأصحابه، جميل العشرة لهم، حافظاً لعهدهم كثيراً لبرهم<sup>2</sup> وقال النباهي في حقه: فاضلاً ديناً<sup>3</sup>، وقال محمد مخلوف: فاضلاً ديناً إليه الرحلة<sup>4</sup>، فقد أجمع كل من ترجموا له على أنه: كان ناسكاً عفيفاً كريم الخلق، سهل الحجاب، كما كان أستاذاً بطبعه يحب التدريس، ويحسن طرق التبليغ، تسعفه مادة غزيرة وتفكير منظم وعبارة منطلقة، وحرص على نفع الطلبة<sup>5</sup>. فالرجل كان مخلصاً للأمة كلها نصوحاً للراعي والرعية، مشاركاً في كل مشاريع الخير التي يمكنه المشاركة فيها، أميناً على كل ما استأمن عليه، متديناً لا يرى صدور فعل أو نهي إلا بموافقة الشرع، لا تأخذه في الحق نومة لائم، وكل هذا في حق رجل مثله قليل.

#### د. عائلة ابن رشد ومكانتها في قرطبة

البروز الحقيقي لهذه العائلة كان في العهد المرابطي، مع بروز شخصية أبي الوليد بن رشد الحد[450-520هـ]، الذي كان من كبار فقهاء العصر علماً ومكانة، وأحد أقطاب المذهب المالكي عامة، وقد تولى قضاء الجماعة بقرطبة في الفترة المنحصرة بين [511-515هـ]، وأصبح منذ وفاة أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن حمدين<sup>6</sup> سنة 508هـ، زعيم

1 الغيبة، ص 54

2 ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج 2، ص 546

3 تاريخ قضاة الأندلس. ص 99

4 شجرة النور، ص 129

5 ابن رشد: البيان والتحصيل، ج 1، ص 14

6 أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغليبي [439 508 هـ/ 1047 1114 م]، أنظر ترجمته

في: ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج 2، ص 539 540

قرطبة والمتكلمين سامحياً، ومن كبار الفقهاء الذين نستشيرهم الدولة<sup>1</sup>، ثم دخلت عائلة رشيد كمنافس ثالث على منصب القضاء، إلى جانب عائلة بني حمدين وعائلة بني الحارث، وتولى القضاء من العائلة أيضاً في قرطبة، ابنه أبو العباس أحمد بن أبي الوليد بن رشيد<sup>2</sup> [487-563هـ] بين [532-535هـ]<sup>4</sup>، ثم استمرت شهرت العائلة وسيطرتهما على قضاء قرطبة في عهد الموحدين عندما تولى ابن رشيد الحفيد [520-595هـ] قضاء الجماعة بقرطبة<sup>5</sup>، وكذلك تولى منهم القضاء خارج قرطبة أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن رشيد<sup>6</sup>، فنالت عائلتهم مكانة اجتماعية وسياسية وعلمية<sup>7</sup>، فكانت عائلة ذات جاه وسطوة وشهرة ومكانة رفيعة بتوليها لمنصب قضاء الجماعة بقرطبة حاضرة الدولة الأموية والأندلس في عهد المرابطين، وكان لقاضي الجماعة بقرطبة دوراً هاماً في كثير الأحداث الجارية بها، ومن ثم ذكر بأن الفتنة الحاصلة في الأندلس أواخر سنة 514هـ بداية 515هـ، هي التي حملته على التنازل عن القضاء وطلب الاستعفاء، حيث أنه ركب في أعلام الفقهاء فردع العامة وقمع السفلة، كما تزعم المفاوضات مع وفد فقهاء المدينة<sup>8</sup>، مما يثبت المكانة الدينية والسياسية التي تحظى بها عائلة ابن رشيد ومن ثم الدور الذي تؤديه والنشاط الذي يؤديه والاجتماعي والسياسي الذي تمارسه، فهذا ابن رشيد الجند مسبوغ الكلمة بحباب الطلب مطاع الرأي حتى عند الأمراء كان يحتل مكانة هامة عند الأمراء، مقدما عند أمير المسلمين، عظيم المنزلة، معتمداً في العظام أيام حياته<sup>9</sup>، في سنة 519هـ.

1 عمر بن حمادي: الفقهاء في عصر المرابطين، ص 282 283

2 المصدر نفسه، ص 279

3 أبو العباس أحمد بن أبي الوليد بن رشيد [487 563هـ]، انظر ترجمته في: محمد بن محمد مخاروف: شجرة النور الزكية، رقم 438، ص 146

4 عمر بن حمادي: الفقهاء في عصر المرابطين، ص 283

5 ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر 6، ص 25

6 ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلاة، ص 150، ترجمة رقم 287.

7 عمر بن حمادي: الفقهاء في عصر المرابطين، ص 281

8 عمر بن حمادي: الفقهاء في عصر المرابطين، ص 594

9 ابن رشيد محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله [450 520هـ]: فتاوى ابن رشيد، تج: 4، ص 146

جواز إتي مراكش، للاطلاع على أحوطه، وأشار عنى أمير مسندين بيناء سور مراكش، لتحصيها لما ظهر أمر المهدي<sup>1</sup>، كما ووصف ابن رشد احفيد بأنه: نشأ في بيت فقهاء وقضاة، وكانت أسرته من أكبر الأسر وأشهرها في الأندلس، وآباؤه من أئمة المذهب المالكي، وكان هو وأبوه وجده قضاة قرطبة، وانفرد حيناً بقضاء إشبيلية<sup>2</sup>.

هـ. زواجه:

لا تذكر لنا الروايات شيئاً [فيما توفر لنا من مصادر]، عن هذا الجانب من حياة ابن رشد الجد الشخصية، رغم أنه تزوج وأنجب، وربما انشغاله أيضاً بأموره الأسرية إلى جانب طول مدة تلمذه، هو الذي أحر شهرته إلى ما بعد الخمسمائة [500هـ]. ولعل ترجمة ابنه وتلميذه أبا العباس أحمد بن أبي الوليد بن رشد [467-563هـ]<sup>3</sup>، تقرب لنا فهم هذا الجزء من حياته العائلية المستقرة، فمولد ابنه أبا العباس كان سنة 467هـ، بمعنى أنه رزق بهذا المولود وعمره سبعة عشر [17] سنة، وهو سن مناسب للزواج المبكر في العصر الذي عاش فيه، وربما يكون ولده البكر أو الوحيد، لأننا لم نقف بعد على ترجمة وافية لأبناء آخرين له، أو حتى لبناته، ولم نجد ذكراً لأحد من أصهاره رغم شهرته وشهرة أسرته، فهل يمكن أن تكون له بنات لم يتزوجن، وقد يعود هذا الغموض إلى اعتبار هذه الأمور تتعلق بالأعراض الواجب الإعراض عن الخوض فيها، وعدم التعرض لها، فما ينبغي لنا أن نطيل الكلام فيما أعرض الناس عنه.

و. وفاته:

قال القاضي عياض: توفى رحمه الله ليلة الأحد 11 من ذي القعدة سنة 520هـ<sup>4</sup>، وذكره ابن العماد في وفيات سنة 520هـ، وقال: عاش سبعين سنة<sup>5</sup>، وقال النباهي: توفى

1 بن الطاهر التليبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، السفر الأول، ج1، ص8

2 أبو الحسن النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص: 99، ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، 310، ابن

الخطيب: الحلال الموشية، ص: 90 ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص: 164

3 محمد لطفي جمعة: ابن رشد تاريخه وفلسفته، منشورات دار المعارف، سوسة تونس، 1996م، ص9

4 محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، رقم438، ص146

5 الغنية، ص55

6 هنريات الذهب، ج4، ص62

سنة 520هـ<sup>1</sup>، ونقل عنهم محمد مخلوف: محددًا الشهر الذي توفي فيه. فقال: توفي في ذي القعدة 520هـ<sup>2</sup>. لقد عاش ابن رشد أول مدة من حياته، مشمرا في طلب العلم جادا في تحصيله، ولذلك استغرقت هذه المرحلة الكثير من وقته، وكانت على حساب المرحلة المتبقية، وهي مرحلة العطاء والبذل والتي لاتصل إلى مستوي الثلث من حياته الأخرى.

ثانيا: ابن رشد وعزوفه عن الرحلة في طلب العلم

أ. أسباب عزوفه عن الرحلة في طلب العلم

لا تذكر المصادر التي ترجمه لابن رشد أي رحلة في طلب العلم أو الحج، ولذلك أردنا توسع النظر في أسباب عدم قيامه بالرحلة، بحثا عن مختلف الأوضاع السائدة في المشرق والمغرب، لعنا نقف له على سبب مقنع، ودراسة للرحلات التي وقعت في الفترة التي بلغ فيها ابن رشد سن الرحلة ولم يرتحل. أما الفقيه العالم أبا بكر بن العربي [468-543هـ]<sup>3</sup>، الذي كان على خلاف شديد مع فقهاء الفروع، وخاصة من تولى منهم القضاء فقال في حقهم (كثرت البدع وتسربت المبتدعة بالشريعة فتعاطت منصب القضاء)<sup>4</sup>، فوقع له الصدام معهم، ولذلك وقعت بينه وبينهم الوحشة، وصاروا يكيدون له، ويمنعون الطلبة ويصدونهم عن الأخذ عنه مثل (عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي [511-

1 تاريخ قضاة الأندلس، ص 99

2 شجرة النور، ص 129

3 أبو بكر ابن العربي أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري [468 543هـ] من إشبيلية، قال ابن بشكوال: الإمام العالم الحافظ المستبحر، ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها، لقيته بمدينة إشبيلية حرسها الله سنة 516هـ، فأخبرني رحمه الله أنه رحل مع أبيه إلى المشرق سنة 485هـ... ثم عاد إلى الأندلس سنة 493هـ، وقدم بلده إشبيلية بعلم كثير لم يدخله أحد قبله، واستقضى بلده. فنفع الله به أهله لصرامته وشدة، ونفوذ أحكامه، وكان له في الظالمين سورة مرهوية، ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبه، قرأت عليه وسمعت بإشبيلية وقرطبة كثيرا من روايته وتواليقه، ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج 2، رقم 1297، ص 558 559. الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة [599هـ] بغية الملتصم في تاريخ رجال الأندلس، تح: روحية عبد الرحمان السويفي: دار الكتب العلمية، بيروت، ص 80 84، المغرب، ص 254. وفيات الأعيان، ج 4، ص 296، ومحمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، رقم 408، ص 136.

4 أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي: العواصم من القواصم، تح: عبد الحميد بن باديس، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، ط 1، 1347هـ/1928م، ج 2، ص 205



597/1117-1200م] (دخل الأندلس في آخر المائة الناصرية، وأبى بكر بن  
 ياشبيلية، وهم بالسماع منه، فعصده القتياب عنه - للتعبد الذي - فكان يترجمه - وأبى  
 أبي بكر بن طاهر...<sup>1</sup>، ولذلك نراه يدبر بطريقة غير مباشرة أشغال هؤلاء القتياب  
 الذين صاروا يتحكمون في رقاب الناس، ويصفهم بقلة العلم، معرضاً في كلامه بك  
 تكن له رحلة في طلب العلم فقال: ولولا أن الله من بطائفة تفرقت في ديار العلم،  
 بناب منه كالقاضي أبي الوليد الباجي<sup>2</sup> وأبي محمد الأصيلي<sup>3</sup>، فرشوا عن ماء الـ

1 عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي [511 597/1117 1200م] من أهل فاس، التكملة، ج2، ص921.

2 أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعدون بن أيوب بن وارث [403 474/1012 1081  
 رحلته إلى المشرق سنة 426هـ/1034م، وحج أربع حجج، وأقام بمكة أربعة أعوام مع أبي ذر الهزلي  
 نسخ البخاري الصحيحة بالمغرب، إنا رواية الباجي عن أبي ذر بسنده، وإنا رواية أبي علي الصدوق  
 وأقام ببغداد ثلاثة أعوام يدرس ويقرأ الحديث، بينه وبين ابن حزم الظاهري مناقشات، أنظر ترجمته في  
 عياض أبو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي [476 544/1083م 1145م]، ترتيبه  
 وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة  
 ودار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، بلا تا، المجلد الثاني، ج4، ص392، وابن فرجون، التذليل  
 ص197، رقم: 240، ومحمد بن محمد مخلوف: شجرة النور، ص120.

3 أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي [392هـ] قرطبي أصله من كبرية شاذونة زامل به أزه  
 من بلاد العدو فسكنها ونشأ بها، غلب العلم بالآفاق، وتفقد بقرطبة من جهة مناجاة الزلازل  
 رحل إلى المشرق فلقى شيوخ إفريقية... ولقي بمصر القاضي أبا القاسم البغدادي... وسار  
 سنة 353هـ أبا زيد المروزي وسمع منه البخاري، وأبى بكر الآجري، والعلوية فاضلنا أبا مروان  
 وسار إلى العراق، فلقى بها الأبهري رئيس المالكية، واضطرب في المشرق، فخرج فلما مشى  
 انصرف إلى الأندلس... وإليه انتهت الرئاسة بالأندلس في المالكية... وولي نظام سرقةطة وقت  
 بقرطبة حتى كان نظير ابن أبي زيد بالقيروان وعليه هدية، ابن فرجون، أبا القاسم، ص24  
 رقم: 273 كانت الرحلة إليه، رحل إليه من بلاد المغرب فلقية أبا القاسم البغدادي، ابن فرجون،  
 الفتنجومي الفاسي [368 430هـ]، القاضي عياض: ترويض السالكين، ص380، ابن فرجون،  
 و702 704، وابن بشكوان: كتاب المسلك، ج2، ص577 578، ابن فرجون،

هذه القسوة ميّزة راجعوا أخبار الإمامة المذكورة، فكان الدين قد ذهب، وبكى تدارك الباري تعالى بتدارك ظنوا بالله يرفع هؤلاء...

وهذا المنهج انتهت القضاة جماعة منهم، يشتمل ابن رشد وغيره من الفقهاء والقضاة الذين تولوا الشطط ولم تثبت لهم رحلة ولا مشقة في طلب العلم، وهم في الحقيقة كثير في هذه الفترة تركز الذكر منهم على القرطبيين من طبقة ابن رشد.

حقيقة بوجود من أهل قرطبة ممن لم يرتحل في طلب عدد ليس باليسير منهم: القاضي أبي عبد الله محمد بن حمدان [439-508هـ/1047-1114م]<sup>3</sup> تولى قضاء قرطبة منذ سنة 490هـ/1096م إلى وفاته، وكان محل ريبة وشك عند البعض<sup>4</sup>، ولم تذكر له رحلة في أي اتجاه، ومن أمثاله الكثير<sup>5</sup>، أما عن هذ الظاهرة الجديدة في قرطبة، والمشكلة في عزوف

---

1 العواصم من التواصي، ج2، ص198، الحجوي محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي [1291-1376هـ/1874-1957م]: الفكر السياسي في تاريخ الفقه الإسلامي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط1: 2006/1427، ص514.

2 لعل المسألة التي حثني بها القضاء جعلت مني محل نقمة العامة والخاصة. وخاصة ما توصل إليه القضاء لما انقضت دولة الممثلة بالأندلس (تأمرت القضاة في بلادها شرقا وغربا)، ابن الأبار: التكملة، ج1، ص276.

3 القاضي أبو عبد الله محمد بن حمدان [439-508هـ/1047-1114م] 77 قاضي قرطبة منذ سنة 490هـ/1096م إلى وفاته... كان من أهل الضنن في العلوم، أدبنا شاعرا لغويا أصليا، ولي القضاء بقرطبة في شعبان 490هـ، توفي سنة 508هـ. ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج2، ص539-540.

4 قال فيه الشاعر أبا حنيفة محمد المعروف بابن النبي، من أهل مدينة جيان، معرضا به: أهل الرياء ليستم ناموسكم كالذئب ألدج في الظلام العاتم/فملككم الدنيا بنذهب مالك وقسمتم الأموال بابن القاسم وكنتم شهاب الدواب بأشوب. رباصيغ صبغت لكم في العالم، عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص150.

5 منهم: أبو محمد عبد الرحمان بن محمد ابن عتاب الأموي [433-528هـ]، قرطبي، تفقه عند أبيه وشوور في الأحكام بعده بنية عمه... كانت الرحلة إليه من الأفاق، وألحق الأبناء بالآباء، وانتزع الناس به، له [تأليف حسنة وفهرسة] قال أبو: حمد عبد الحق: غلبه كانت تدور الفتيا بيلده... [لقيه بقرطبة وقرأت عليه كتاب الموطأ رواية يحيى بن يحيى... وأجاز لي جميع ما رواه عن شيوخه المسمين في فهرسته، مولده سنة 433هـ، وتوفي سنة 528هـ فأنس ابن عتبة، ص106، الصلة، ج1، ص332، رقم: 747قضاة الأندلس، ص99، شجرة التوريق، ص1... وأبو الحسن بن سينا، أبو عبد الله بن محمد بن مغيث [447-533هـ]، من أهل قرطبة، وتبين المسألة فيهم... مشاورا في التكايف ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج2، ص649، رقم: 1518شجرة التوريق، ص132... رواية ابن عبد الله بن الحاج، محمد بن أحمد بن يثير النجفي 458

ضبتها عن الرحلة في طلب العلم أو الحج، فإن لذلك أسباباً واقعية، فالنسبة للرحلة في طلب العلم. فإن ابن رشد كان في قرطبة وتوفر له من العلماء بما جعلها مركزاً علمياً تشد إليه الرحال من المشرق والمغرب، وقد تحققت هذه المكانة لمدينتين فقط في الأندلس، فقرطبة كانت تحتوي على عدد هام من الأساتذة، والمرية كانت مركز عبور لعدد من الشيوخ، ثم ميزة خاصة بشيوخ قرطبة أنهم أكثر الفقهاء اشتغالا في مدعهم وأقلهم مغادرة لها<sup>1</sup>، فتهياً له اللقاء بعدد هام من الشيوخ هناك، وأغناه ذلك عن مشقة القيام بالرحلة، وهو ما يتهياً لعدد كبير من فقهاء قرطبة، في تلك الفترة ويؤكد هذا الكلام طبقة ابن رشد ونظرائه ممن تولوا أرقى المناصب، ولمع نجمهم من دون أن تكون لهم رحلة تذكر، وهذا بسبب ما توفر لهم من فرص التكوين والتعلم بقرطبة، فاكتفوا بالأخذ عن علمائها، وتولوا الوظائف والخطط بما، ونلاحظ أن هؤلاء الفقهاء من نظراء ابن رشد وطبقته معظمهم تكون عند نفس شيوخه<sup>2</sup>، سواء كان من أهل الأندلس أو ممن ارتحل إليها من المشرق والمغرب، قبل سنة 498هـ، لأن آخر شيوخه وفاة هو محدث الأندلس أبا علي الجبائي المتوفى سنة 498هـ.

529هـ من أهل قرطبة تولى قضائهما مرتين... كان يدور القضاء في وقته بينه وبين أبي الوليد بن رشد في خلافة يوسف بن تاشفين وابنه، ألف: [النوازل المشهورة] و[شرح خطبة صحيح مسلم] و[كتاب الإيمان] و[الكافي في بيان العلم] و[فهرسة] وغير ذلك، بقي يتولى القضاء بقرطبة حتى قتل ظلماً بالمسجد الجامع بقرطبة يقوم الجمعة وهو ساجد، سنة 529هـ، ودفن بمقبرة أم سلمة، وصلى عليه ابنه أبو القاسم، وشهده جمع عظيم من الناس واتبعوه ثناء حسناً، ومولده سنة 458هـ. الصلة، ج2، ص550، تاريخ قضاة الأندلس، ص102، شجرة النور، ص132... وأمتالهم ممن تولوا الخطط أو لم يتولوا أي خطة كثير.

1 عمر بن حمادي: الفقهاء، ص237 238

2 وخاصة القاضي ابن حمدان [439 508هـ] يشاركه في الأخذ بإجازة عن أبي العباس العديري، وأبا الحسن بن مغيث [447 532] يشاركه في معظم شيوخه وخاصة أبا مروان بن سراج وأبا جعفر بن رزق، وأبا عبد الله بن فرج بن الطلاع، وأبي علي الغساني، بينما يشاركه كل من ابن الخشاب البغدادي [490هـ]، وأبو بكر المرادي [489هـ] القرواني في شيخه أبي مروان بن سراج، ويشاركه القاضي ابن الملقوم القاسي [476 543هـ] في شيخه أبي علي الغساني، وابن فرج ابن الطلاع.

ب. قرطبة قبلة المشاركة والمغاربة في رحلاتهم

ولذلك نجد ضلّة العلم وغيرهم، أصبحوا يقصدون قرطبة من المشرق نفسه، الذي كان محط رحال القرطبيين والأندلسيين عموما من قبل، فأصبحت قرطبة وبلاد الأندلس تستقطب إليها المشاركة، ومتمهم أبا الحسن بن الخشاب المبارك بن سعيد [490هـ] من بغداد، ودخل الأندلس تاجرا سنة 483هـ، فأسمع بقرطبة وأخذ عنه الجياني، وسمع هو من أبي مروان بن سراج كتاب النوادر لأبي علي البغدادي، وسمع بالمرية كتاب أحكام القرآن للقاضي إسماعيل، وعاد إلى بغداد<sup>1</sup>.

واضح تماما أن رحلة ابن الخشاب لم تكن في طلب العلم خالصة، بل قدم تاجرا، ولكنه وجد ضالته في كل من قرطبة والمرية، فانتفع واستزاد من العلم، ولو توفرت فرصة لأي مشرقي مثله لفعل مثل فعله، للاعتبارات السالفة الذكر، فإن هاتين المدينتين صارتا مركزا علميا بلا منازع، رغم من دخلها من أهل المشرق على قلتهم، بل إن رحلة أهل المغرب أصبحت تبدأ بالأندلس أولا<sup>2</sup> ثم المشرق، في هذه الفترة أو قبلها. وقد دخلها من أهل المغرب عدد ليس باليسير، نذكر منهم من قصد قرطبة بالضبط، أبا بكر المرادي محمد بن الحسن [489هـ] من القيروان، قدم الأندلس وأخذ عنه أهلها، كان إمام في أصول الدين وله فيه تواليف حسنة مفيدة، قال أبو العباس الكنايني: دخل قرطبة في سنة 487هـ،

---

1 أبو الحسن بن الخشاب المبارك بن سعيد بن محمد بن الحسن البغدادي [490هـ]، وكان من أهل الثقة والصدق والثروة، ثم قفل من الأندلس وانصرف إلى بغداد إلى أن توفي بها بعد 490هـ: ابن بشكوال: كتاب الصلاة، ج2، ص599، رقم: 1391، وأبا الحسن علي بن أحمد بن علي بن عبد الله الربيعي المقدسي الشافعي التاجر [531هـ] سكن المرية، له سماع من أبي بكر الخطيب، ومن نصر بن إبراهيم المقدسي، ودرس على أبي إسحاق الشيرازي، حدث عنه القاضي عياض، توفي سنة 531هـ: ابن بشكوال: كتاب الصلاة، ج2، ص410، رقم: 927.

2 كرحلة أبا عمران الفاسي موسى بن أبي حجاج الغفجومي الفاسي [368 430هـ]، قدم الأندلس فسمع بقرطبة من أبي محمد الأصيلي، وتفقه به ثم رحل إلى المشرق وحج حجاجا، ودخل العراق سنة 399هـ، القاضي عياض: ترتيب المدارك، المجلد الثاني، ج4، ص616، و702 704، وابن بشكوال: كتاب الصلاة، ج2، ص577 578، رقم: 1337.

واختلف إلى أبي مروان ابن سراج في سماع التبصرة لمكي<sup>1</sup>، وقد دخل قرطبة في نفس السنة التي توفي فيها ابن أبي العافية [487هـ] شيخ ابن رشد. أما القاضي أبا موسى بن الملجوم عيسى بن يوسف بن عيسى الأزدي [476-543هـ] من أهل فاس وتولى القضاء بها، رحل إلى قرطبة عام 495هـ، فأخذ بها عن أبي علي الغساني [498هـ]، وأبي عبد الله ابن فرج ابن الطلاع [497هـ]، وأبي بكر ابن حازم<sup>2</sup>، قال ابن الأبار: دخل الأندلس فلقي بقرطبة سنة 495هـ أبا عبد الله بن الطلاع وأبا بكر بكر حازم بن محمد، وأبا علي الغساني وأبا الحسين بن سراج وأبا محمد بن عتاب، وسمع منهم ومن غيرهم<sup>3</sup>، وأدرك من شيوخ ابن رشد من تأخرت وافتهم بعد 495هـ، وهي السنة التي توفي فيها ابن مديبر [495هـ] فلم يأخذ عنه. أما أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي المصبي [428-505هـ]، دخل الأندلس طالباً للعلم، فسمع من أبي عبد الله بن المرابط، وأبي مروان بن سراج [489هـ] وغيرهما... وتفقه على القاضي ابن المرابط، وأبي علي الجبائي [498هـ] ومحمد بن فرج مولى ابن الطلاع [497هـ] وغيرهم<sup>4</sup>، فحتى يدرك ابن سراج لابد أن يكون دخوله قرطبة على الأقل، أول سنة 489هـ التي توفي فيها.

1 أبو بكر المرادي محمد بن الحسن [489هـ] من القيروان. قال أبو العباس الكتاني: دخل قرطبة في سنة 487هـ، واختلف إلى أبي مروان بن سراج في سماع التبصرة لمكي، قال ابن بشكوال: حدثني مشافهة بكتاب فقد ائلفه لأبي منصور التعالي، توفي بمدينة أركند بصحراء المغرب وهو قاض بها سنة 489هـ، ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج2، ص572، رقم 1326.

2 أبو موسى بن الملجوم عيسى بن يوسف بن عيسى الأزدي ت543هـ... كر راجعا إلى بلده فاس فولي القضاء به، وكان فقيها نزيها، عدلا: توفي سنة 543هـ. تاريخ قضاة الأندلس، ص102، كما دخل الأندلس أبا الحسن علي بن عبد الغني الفهري المقرئ المصري القيرواني [488هـ]. شاعر أديب، دخل الأندلس ولقي ملوكها. وشعره كثير وأدبه موفور، كان عالما بالقراءات وطرقها، وأقرأ الناس بالقرآن بسبته وغيرها، له قصيدة نظمها في قراءة نافع، وهي مائة بيت وتسعة أبيات: قال أبو القاسم بن صواب لقيته بمرسية سنة 481هـ، وتوفي بطنجة سنة 488هـ، ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج2، ص410، رقم: 926.

3 التكملة لكتاب الصلة. دار الفكر بيروت، 1415هـ/1995م، ج4، ص16.

4 أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي السبتي [428-505هـ]... أخذ عنه القاضي عياض وعليه اعتماده: تولى قضاء سبته وفاس، ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج2، ص572، رقم 1327.

وأما القاضي أبا عبد الله محمد بن داود بن عطية بن سعيد العكي الجراوي [525هـ]، أصله من إفريقية واستوطن أبوه القعدة، روى عن عبد الجليل الربيعي وغيره، ولقي قرطبة أبا علي الغساني، فأخذ عنه كثيرا... له مسائل منثورة وقد حدث<sup>1</sup>، فإن نص الترجمة يدل على أنه ارتحل إلى قرطبة قبل وفاة أبي علي الجياني [498هـ]، وحتى يأخذ عنه كثيرا، لا بد أن يدرك من شيوخ ابن رشد أيضا، ابن فرج ابن الطلاع [497هـ]، إلا أن يكون قد انشغل عنه بالرواية عن الجياني. أما آخر من نذكر من الداخلين إلى قرطبة، ولم يدرك أحدا من شيوخ ابن رشد، فهو ابن تومرت محمد المهدي بن عبد الله [473-524هـ/1080-1129م]<sup>2</sup> من أهل السوس الأقصى، رحل في طلب العلم حوالي سنة 499هـ/1105م، ودخل قرطبة وهي دار علم<sup>3</sup>، فأخذ بها عن القاضي ابن حمدين [439-508هـ/1047-

1 القاضي أبا عبد الله محمد بن داود بن عطية بن سعيد العكي الجراوي [525هـ] استقضى بلمسان ثم بإشبيلية ثم بفاس، توفي يوم الإثنين 10 ذي القعدة سنة 525هـ، ودفن ضحوة يوم الثلاثاء بعده، وهو في عشر الثمانين، ابن بشكوال: كتاب الصلاة، ج2، ص573، رقم: 1329.

2 ابن تومرت محمد المهدي بن عبد الله [473 524 1080 1129م] من أهل السوس الأقصى: ابن عذاري: البيان المغرب، ج1: ص435، والزركشي: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن نؤلؤ [بعد 932هـ/1525م]: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور: المكتبة العقبية، تونس، ط2، 1966م، ص4، ومحمد بن محمد مخلوف: شجرة النور، ص140، وممن رحل إلى الأندلس من أهل المغرب، ولم يذكر له دخول إلى قرطبة، أبا الحسن علي بن عبد الغني القيرواني المقرئ [488هـ]، أقرأ بسبته وتوفي بطنجة، دخل الأندلس ولقي ملوكها، قال أبو القاسم بن صواب: لقيته بموسية سنة 481هـ، كان عالما بالقراءات وطرقها وأقرأ الناس القرآن بسبته وغيرها، له قصيدة نظمها في قراءة نافع وهي مانتا بيت وتسعة أبيات، توفي بطنجة سنة 488هـ، ابن بشكوال: كتاب الصلاة، ج2، ص410، رقم 926، وأبا عبد الله محمد بن عبد الله الصقلي، روى عن أبي الحسن اللخمي الفقيه كتاب التبصرة في الفقه، وقدم غرناطة وسلب في طريقها، وأخذ الناس عنه بها، توفي بها سنة 508هـ، ابن بشكوال: كتاب الصلاة، ج2، ص572، رقم: 1328.

3 ابن خلدون تاريخ ابن خلدون المسمى العبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت، 1399هـ/1989م، ج6، ص226.

1114م<sup>1</sup>، ثم اتجه منها إلى المرية<sup>2</sup>، وركب البحر إلى المهديّة، وأخذ عن الإمام المازري<sup>3</sup>  
[536هـ/1141م]<sup>4</sup>.

### ج. قرطبة مقر استقرار علماء الأندلس بعد نهاية رحلاتهم

أما أهل الأندلس فلم يكتفوا بمجرد بالرحلة إلى قرطبة، بل استقر الكثير منهم فيها، وتولى بعض الخطط بها، نذكر منهم أبا جعفر بن الدجن أحمد بن الحصين لعقيلي [471-542هـ]<sup>5</sup> جيباني سكن غرناطة ثم استقر بقرطبة، طلب العلم وهو ابن 13 سنة، رحل إلى قرطبة، وروى عن أبي الحسن ابن الباذش<sup>6</sup> وابن فرج ابن الطلاع وأبي علي الغساني وأبي مروان بن سراج، وسمع بها من أبي محمد بن عتاب صحيح البخاري سنة 499هـ<sup>7</sup>، وكذلك أبا الحسن بن غالب علي بن خلف [484-568هـ] شلي استوطن قرطبة ثم قصر كتامة تلا على أبي داود: ابن أيوب وابن يحيى، وسمع الحديث على أبي القاسم بن رضا، وأبوي

1 محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور، ص 140

2 ابن عذاري: البيان المغرب، ج 1، ص 435

3 أبو عبد الله المازري محمد بن علي بن عمر التميمي [536هـ/1141م]، أنظر ترجمته في: ابن فرحون: الديباج المذهب، ص 374 375، ومحمد بن محمد مخلوف: شجرة نور، ص 127 128.

4 الزركشي: تاريخ الدولتين، ص 4، ومحمد بن محمد مخلوف: شجرة النور، ص 140

5 أبو جعفر بن الدجن أحمد بن الحصين العقيلي [471 542هـ] جيباني سكن قرطبة... أخذ عن الأصغ بن عيسى بن سهل كتابه في نوازل الأحكام مناولة، ولقي ياشيبيلة أبي القاسم الهوزني. فسمع منه سنة 512هـ... وأكثر عنه، سكن غرناطة وأقضى بها: ثم انتقل إلى قرطبة فكان بها في عداد المغتربين، شور بقرطبة ثم بقرطبة، وخرج منها في فتنه أبي جعفر بن حمدين، ابن الأبار: التكملة، ج 1، ص 53، وابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ص 97 99.

6 أبو الحسن بن الباذش علي بن أحمد [444 528هـ] من قرطبة، إمام الفريضة بجامع قرطبة، وشيخ شيوخها، أخذ عن أبي علي الصدفي وغيره، وعنه ابنه أحمد والقاضي عياض وعبد الحق بن عطية وأبو عبد الله الأنصاري وغيرهم، كان من أهل المعرفة بالآداب واللغات، وكان من الحفاظ لكتاب سبويه المرزبان في النظر في معانيه، له شرح على كتاب سبويه: وشرح المقضب والأصول لابن سراج، وشرح الإيضاح والجمال، والكافي لابن النحاس، أخذه عنه أبا محمد ابن عطية مناولة من يده إلى يدي، قال قرأته على الأستاذ أبي عبد الله محمد بن حارث بن أحمد بن منوه السرقسطي... ففهرس ابن عطية، ص 101 106، الصلة، ج 2، ص 404 405، شجرة النور، ص 131، ابن فرحون: الديباج المذهب، ص 299 300، رقم 396.

7 فهرس ابن عطية، ص 101 106، وكتاب الصلة، ج 2، ص 404 405.

جعفر: ابن عبد العزيز والبطروحي،... وكان في فتائه إذ رحل إلى قرطبة قد استكتبه الحاج بلكاس اللمتوني؛ ثم تخلى عنه زهداً، وتصدق بما ملكته يمينه أجمع، وطاف البلاد في لقاء العلماء والزهاد، وانقطع معهم، وألزم نفسه من أنواع المجاهدات كثيراً، لما كانت فتنة الأندلس، ثم فارق الأندلس بعد ترده في كثير من بلادها حتى استوطن قصر كتامة وطاف البلاد في لقاء العلماء والزهاد، وانقطع معهم، وألزم نفسه من أنواع المجاهدات كثيراً، لما كانت فتنة الأندلس، ثم فارق الأندلس بعد ترده في كثير من بلادها حتى استوطن قصر كتامة<sup>1</sup>. كما استوطنها كذلك أبو عبد الله الألبيري محمد ابن خلف ابن موسى الأوسي الأنصاري المتكلم [457-537هـ]<sup>2</sup>، أصله من البيرة سكن قرطبة، روى عن أبي بكر محمد ابن الحسن المرادي، وأبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي وأخذ الكلام عنهما، وكان حافظاً لكتب الأصول والاعتقادات، واقفاً على مذهب أبي الحسن الأشعري وأصحابه، روى عن أبي الوليد بن موسى ابن الطلاع، وأبي علي الغساني وغيرهما، وذكر أن له رواية عن أبو زيد بن نزار الشاطبي أخذ عنه بقرطبة سنة 506هـ، وروى عن أبي بكر محمد بن الحسن المرادي، وأبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي وأخذ الكلام عنهما<sup>3</sup>. وحتى يدرك الشيخ المرادي المتكلم لابد أن يكون موجوداً في قرطبة فترة دخول المرادي إليها سنة

1 أبو الحسن بن غالب علي بن خلف بن غالب [484 568هـ] شلي استوطن قرطبة،... كما روى عن أبي الحسن وليد بن موفق، وأبي عبد الله بن معمر، وتلا عليه بحرف نافع، وأبي محمد النفري البصري، وأبي مروان بن مسرة، وأخذ فرائض الموارث والحساب عن أبي العباس بن عثمان الشلي،... وصار إمام الصوفية وقدوتهم، يقصدون إليه ويهتدون بآثاره ويتتبعون من أنواره، وكان ممكناً في علوم القرآن، وله في طريقة التصوف مصنفات لا نظير لها منها: [كتاب اليقين] وكان له حظاً وافراً من الأدب وقرض الشعر؛ الذليل والتكملة، السفر5، القسم1، ص108 110.

2 أبو عبد الله الألبيري محمد ابن خلف [457 537هـ] من أهل البيرة سكن قرطبة، وروى عنه ابن قرقول، وأبي الوليد ابن خيرة وجماعة، وأبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي وأخذ الكلام عنهما، الأديب العالم المحقق. الإمام المؤلف، وكان حافظاً لكتب الأصول والاعتقادات، واقفاً على مذهب أبي الحسن = الأشعري وأصحابه، مع مشاركة في الأدب له، توالف منها: [كتاب النكت الأمالي في النقص على الغزالي]، ورسالة في الاقتصار على مذاهب الأئمة الأخيار، والبيان في حقيقة الإيمان، و[اختصر كتاب الرعاية للمحاسبي]، وكتاب مداواة العين جليل الفائدة، التكملة، ج1، ص439 440، والديباج الملذهب، 402 403، وشجرة النور، ص134.

3 شجرة النور، ص134



487هـ، وخروجه منها كان على الأقل قبل سنة 489هـ، وهي السنة التي توفي فيها المرادي في الصحراء 489هـ<sup>1</sup>، وهو قاضيا بها، وعلى هذا تكون رحلة الألبيري سنة 187هـ، أو قبلها بقليل، وأخذ سنة 506هـ عن أبي زيد بن نزار الشاطبي<sup>2</sup>، ثم استقر بقرطبة وصارت له بعض الخلافات مع بعض فقهاءها<sup>3</sup>.

كما استوطن قرطبة من أهل الأندلس معلما للقرآن بها، من تلامذة ابن رشد، الفقيه عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي [540هـ]<sup>4</sup>، يابري الأصل سكن قرطبة تلا بالسبع على أبي القاسم بن الحصار، وروى عنه، وعن أبي بكر: خازم وعبد الله بن طلحة وعياش بن مخراش، وأبي الحجاج بن الشمينة، وأبي الحسن العبسي، وأبي زيد بن محمد بن براح، وأبي طلحة علي بن صلحة، وأبوي محمد: بن طلحة وابن عتاب، وأبي الوليد بن رشد<sup>5</sup>. كما ووجد من أهل الأندلس من لم يكتب بالرحلة إلى قرطبة فقط بل ارتحل بعدها إلى المشرق، وخاصة بعد سنة 497هـ، مثل أبا القاسم بن جهور عيسى بن إبراهيم القيسي [527هـ]<sup>6</sup> من أهل طليبة سكن شريش، روى بقرطبة عن أبي علي الغساني وأبي عبد الله محمد بن فرج الفقيه، وخازم بن محمد، ورحل إلى المشرق بعد 500هـ، ودخل

1 ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج2، ص572

2 شجرة النور، ص134

3 ألف رسائل يرد فيها على العلماء منها رسالة في الرد على أبي الوليد بن رشد، في مسألة الإستواء الواقعة في الجزء الأول من مقدماته، ابن فرحون: الديباج المذهب، 402 403

4 عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي ت540هـ يابري الأصل سكن قرطبة، وكان معتمدا بالقرآن وتجويد حروفه، حسن الصوت متفنا أداءه ضابطا له، وأكثبه بقرطبة زمانا طويلا، وأقرأه أيضا بجامعها الأعظم، فخرج على يده جمهور نهبائها، وكان يوم بمسجد أم هشام ويدرس به النحو واللغة، ويجلس يوما في كل جمعة يعظ فيه الناس، الذليل والتكملة، السفر5، القسم2، ص486.

5 الذليل، السفر5، القسم2، ص486

6 أبو القاسم بن جهور عيسى بن إبراهيم القيسي [527هـ] من أهل طليبة سكن شريش وأخذ عن أبي محمد بن طرفان والشاشي وأبي محمد بن علي الحريري البصري، صاحب المقامات فأخذها عنه... من أهل المعرفة بالآداب والشعر وهو كان الغالب عليه، وله مشاركة في الفقه والحديث وأصول الديانات... قال ابن بشكوال: قدم علينا قرطبة فأخذنا عنه، توفي بإشبيلية سنة 527هـ ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج2، ص416، رقم 946.

بغداد وناظر هنالك الفقهاء، وأحد عن أبي بكر أحمد بن علي بن بدارق الحولاني<sup>1</sup>، حيث لم يبقى بها حيا من شيوخ ابن رشد إلا ابن فرج ابن الطلاع [497هـ]، وأبا علي الغساني [498هـ]. وأما أهل قرطبة في هذه الفترة، فقد اكتفوا بالأخذ عن علمائها، ولم يجد للكثير منهم رحلة خارجها، إلا نادرا، وأما رحلتهم إلى المشرق فقد تناقصت وسجل انخفاض عدد الرحالين كلما تقدمنا في العصر المرابطي<sup>2</sup>، إلا أنها لم تنقطع، وخاصة ما كان منها بسبب الحج.

رابعا- عزوفه عن الحج

### أ. ظروف رحلة الحج أواخر القرن 5هـ

أما عن عدم قيامه بالرحلة إلى الحج، وأداء الفريضة، على الرغم من مكانته العلمية والدينية، وامكانية اقتداء الناس به، فإن الفترة التي بلغ فيها ابن رشد سن الارتحال [بعد 175هـ]، كانت فترة حرجة بالنسبة للأندلس، بعد الانقسام والقتال الدائر بين ملوك الطوائف من جهة، وبين زعماء حركة الاسترداد وأهل الأندلس من جهة ثانية، أما بعد فرض المرابطين للأمن بالأندلس، والوحدة السياسية بين المغرب والأندلس التي تحققت في عهدهم، فلم يتوفر جوا مناسباً للارتحال؛ بسبب فساد السبيل، وقد ووجد نموذج، لمن خرج مرتحلا في طريق الحج ثم رجع لهذا السبب مثل الفقيه أبا عبد الله بن العصافير محمد ابن عمر الخرجي [410-504هـ]<sup>3</sup>، من أهل جيان تفقه على أبي مروان بن مالك بقرطبة، كان ذا حظ من علم الأصول والأدب، قال ابن بشكوال: له رحلة إلى المشرق، لقي فيها عبد الحق ابن هارون النقيي

1 ابن بشكوال: كتاب الصلاة، ج2، ص416.

2 عمر بن حمادي: الفقهاء، ص237.

3 أبو عبد الله بن العصافير محمد ابن عمر الخرجي 410 504هـ من أهل جيان الفقيه المشاور؛ كان فقيها سمرقا. وكتب هنالك [بصقلية] عن الشيخ الفقيه أبي محمد عبد الحق بن هارون السهمي الصقلي؛ ورجع إلى الأندلس، قال أبو محمد عبد الحق: لقبته في جيان، في نهوضي إلى غزوة طليبة سنة 503هـ، فأجيز لي جميع روايته، فهرس ابن عطية، ص137، الصلاة، ج2، ص537.

ولم يحج<sup>1</sup>، قال ابن عطية: رحل إلى المشرق شبيبته ليحج، فتعدر ذلك عليه، وردده عبد الحق من صقلية لفساد السبيل في ذلك الوقت، ولقي حلة من العلماء<sup>2</sup>.

كما توجد حالة مماثلة غامر صاحبها في نفس الظروف، ولكن مغامرته لم تكفل بالنجاح، وهذا ما حصل للفقير القاضي أبي بكر عتيق بن عمران الربيعي السبي[484هـ]، تولى قضاء سبتة، وارتحل إلى المشرق وأخذ على عدد من الشيوخ، وأقام هناك سنتين، ثم أخذ في العودة إلى المغرب، وبعد أن ردت الرياح إلى الإسكندرية، حيث قبض عليه أمير الجيوش بدر الجمالي<sup>3</sup> [ت487هـ] وقتله سنة 484هـ، لأنه وجد معه كتاب من المقتدي بأمر الله<sup>4</sup> إلى أمير المغرب<sup>1</sup>.

1 التصلة، ج2، ص537

2 فهرس ابن عطية، ص137

3 بدر الجمالي: يدعى قائد الجيوش، أرمني الجنس، اشتراه جمال الدولة بن عمار وتربى عنده: استأبه الخليفة العبيدي المستنصر بمدينة صور وقيل عكا، فلما ضعف حال المستنصر واختلت دولته، استدعاه الخليفة سنة 466هـ، فركب البحر إلى القاهرة، بعد الحصار الذي فرضه ابن حمدان على مصر، فضعف المستنصر عن مقاومته وانحصر بالقاهرة، وطال الحصار وغلت الأسعار، فاستولى على الأمور، وقتل جماعة ممن يطلب الفساد: فتمهدت الأمور ولم يبق للمستنصر أمر ولا نهي، إلا الركوب في العيدين وصار المستنصر كالمحجور عليه مع بدر الجمالي، المتوفى سنة 488هـ، ثم من بعده ولده الأفضل شاهنشاه، ابن خنكان: وفيات الأعيان: ج2، ص448، رقم286، وابن تغري بردي جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي: التجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، تح: إبراهيم علي طرخان، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، بلا: تا، ج5، ص04، 19، 15، وقد وصفت فترة حصار القاهرة بأنتع الأوصاف:... أقامت الناس سبع سنين يطلع النيل فيها وينزل، ولا يوجد من يزرع، لموت الناس: واختلاف الولاية والرعية، فاستولى الخراب على كل البلاد ومات أهلها، وانقطعت السبل برا وبحرا، وكان معظم الغلاء سنة 463هـ، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص3

4 المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم[467 487هـ]، وولد سنة 442هـ، بعد وفاة أبيه في خلافة القائم، وبويع له بالخلافة عند موت جده وله تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وكانت قواعد الخلافة في أيامه باهرة وافرة بخلاف من تقدمه، نفى المغنبيات والخواطي ببغداد، وأمر أن لا يدخل أحد الحمام إلا بمنزلة، وخرّب أبراج الحمام صيانة لحرم الناس، خطب له بدمشق سنة 468هـ، وأبطل الأذان بحي على خير العمل، وفي سنة 479هـ قطعت خطبة العبيدي بالحرمين وخط للمقتدي، وفي سنة 479هـ، أرسل يوسف بن تاشفين صاحب سبتة ومراكش إلى المقتدي يطلب أن يسلمته وأن يقلده ما بيده

وكان وراء ذلك ولاشك العداء بين المذهب السني المالكي المرابطي، والمذهب الشيعي الجسدي والمتحكم بأجهزته السياسية والعسكرية في مصر، بالإضافة إلى سبب خاص يتمثل في انكراهية التي كان يديها بدر الجمالي إلى المغاربة بصفة عامة<sup>2</sup>. وقد أبرز ابن الأثير العداء المستحکم بين المنهيين والذي أن يؤدي إلى انقطاع الرحلة إلى المشرق عبر مصر الفاطمية خصوصاً، لأن المغاربة كانوا يعتقدون في العلويين أصحاب مصر الاعتقاد القبيح، فكانوا إذا أرادوا الحج يعدلون عن مصر، وكان أمير الجيوش بدر-والد الأفضل-أراد إصلاحهم، فلم يميلوا إليه ولا قاربوه، فأمر بقتل من ظفر به منهم<sup>3</sup>. ونقل القاضي عياض محاربتهم للمذهب في مصر ذاتها فقال: قال القنازعي: دخلت مسجد عمرو بالفوسطاط، وفيه من المجالس المالكية في الفقه والحديث نحو من عشرين حلقة... ونقل عن حمزة الكفائي سنة 408هـ، أنه قال: سيمر بك ستون سنة إن عشت ولست ترى في هذا الجامع من ينصر سنة رسول الله-ص-<sup>4</sup>.

#### ب. الرحلات التي وقعت في نفس الفترة

ولكن هذه الأسباب التي أفتعت ابن رشد، وجعلته لا يرتحل عن وطنه في طلب العلم، ولم يؤدي فريضة الحج، لا تبدوا مقنعة لوحدها، وذلك لوجود رحلات وقعت في نفس الفترة، أو بعدها بسنة على الأقل، ارتحل أصحابها في طلب العلم وأدوا فريضة الحج، كرحلة أبا بكر غالب بن عبد الرحمان بن عطية<sup>5</sup> [441-518هـ] من أهل غرناطة. رحل

من البلاد، فبعث إليه الخلع والأعلام والتقليد، ففرح بذلك وسر به فقهاء المغرب، جلال الدين عبد

الرحمن [1505/911م]: تاريخ الخلفاء، دار الفكر بيروت، 1424/2004م، ص 390 391

1 عمر بن حمادي: الفقهاء في عصر المرابطين، ص 144

2 عمر بن حمادي: الفقهاء، ص 144

3 ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد [630/1232م]: الكامل في التاريخ، بيروت، 1966 ج 5، ص 414

4 ابن عاشور محمد الطاهر: أليس الصبح يقرب [التعليم العربي الإسلامي]، دار السلام القاهرة: ط 2،

1428/2007م، ص 56

5 أبو بكر غالب بن عبد الرحمان بن عطية 441 518هـ من أهل غرناطة. قرأ القرآن بالقراءات السبع على

الشيخ المقرئ أبي علي الحسين بن عبيد الله الحضرمي وأجازته: ناظر في الموطأ والمدونة، واكتسب حظاً وافراً

من النحو والأدب... ورحل إلى مكة... فصحب بها الفقيه الإمام أبا عبد الله محمد ابن عبد الله ابن أحمد

النحوي الجاحظ المجاور بمكة، ولازمه وقرأ عليه التمهيد للقاضي أبي بكر بن الطيب. واللامع لأذري، وكتاب

البيان في تفسير القرآن، وحدث به عنه، ولقي بمكة أبا عبد الله الحسين بن علي الطبري نزيل مكة، قرأ عليه

إلى المشرق سنة 469هـ، فلقني بالمرية أبا محمد ابن قحافة-رضه-ونظر عليه في الموطأ، وحمل عنه البخاري وسائر رواياته... ثم رحل إلى مصر، فصحب هنالك الشيخ أبا الفضل عبد الله بن حسن المعروف بابن الجوهري القرافي الراهد-رحمه الله-ولازمه، وحدث بكثير من أخباره وكثير من أشعار الزهد عنه، ثم رحل إلى مكة... فصحب بها الفقيه الإمام أبا عبد الله محمد ابن عبد الله ابن أحمد النحوي الجاحظ الجاور بمكة، ولازمه وقرأ عليه التمهيد للقاضي أبي بكر بن الطيب، واللامع لأذري قراءة فك، وحمل عنه كتابه الذي ألفه في اختصار كتاب أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري، وهو كتاب البيان في تفسير القرآن، وحدث به عنه: ولقي بمكة أيضا الإمام الزكي العدل أبا عبد الله الحسين بن عني الطبري نزيل مكة، قرأ عليه البخاري، وكتاب مسلم وحمل عنه سائر روايته، ثم حج سنة 470هـ، وانحدر إلى الأندلس سنة 471هـ<sup>1</sup>، وقد بلغ سنه عندما ارتحل 28 سنة، ولما حج بلغ سنه 29 سنة، وهو أكبر من ابن رشد بتسع سنوات.

ورحلة أبا بكر الطرطوشي محمد بن الوليد<sup>2</sup> [521]، رحل إلى المشرق سنة 476هـ/1083م وحج ودخل بغداد والبصرة، فتفقه عند أبي بكر الشاشي، وأبي العباس الجرجاني، وسمع بالبصرة من أبي علي التستري، وسكن الشام مدة ودرس بها<sup>3</sup>.

البخاري، وكتاب مسلم وحمل عنه سائر روايته، ثم حج سنة 470هـ، وانحدر إلى الأندلس سنة 471هـ، توفي سنة 518هـ، فهرست ابن عطية، ص 59 77، كتاب الصلاة، ج 2، ص 432-433 رقم: 986، وابن الأبار: التكملة، ج 2، ص 916، وابن القطان أبو محمد علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي [646/1248م]: نظم الجمال لترتيب ما سلف من أخبار الزمان: تح: محمود علي المكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، جمادى الآخرة 1410هـ/يناير 1990م، ص 143، شجرة النور، ص 129

1 فهرست ابن عطية، ص 59 77

2 أبو بكر الطرطوشي محمد بن الوليد بن أبي وندقة الطرطوشي [521] من طرطوشة. يعرف بابن أبي وندقة، صحب القاضي أبا الوليد الباجي بسرقسطة وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه وأجاز له، وسكن الشام مدة ودرس بها، توفي بالإسكندرية سنة 521هـ، ابن عطية: فهرس ابن عطية، ص 99 الصلاة، ج 2، ص 545، رقم: 1269

3 ابن عطية: فهرس ابن عطية، ص 99 الصلاة، ج 2، ص 545، رقم: 1269

ورحلة الفقيه المحدث أبا علي بن سكرة الصديقي حسين بن محمد بن فيرة<sup>1</sup> [452-514هـ] من أهل سرقسطة استوطن مرسية ورحل إلى المشرق عام 481هـ، في البحر ورجع من عامه، ولقي بمكة أبي عبد الله الحسين ابن الطبري إمام الحرمين، وأبي بكر الطرطوسي وغيرهما، ثم صار إلى البصرة فلقني بها أبي يعلى المالكلي، وأبي العباس الجرجاني، وأبي القاسم ابن شعبة وغيرهم، وخرج إلى بغداد فسمع بواسط من أبي المعالي محمد بن عبد السلام الأصبهاني وغيره، ودخل بغداد سنة 482هـ، فأطال بها الإقامة خمس سنين كاملة، وسمع بها من أبي الفضل أحمد بن الحسين بن خيرون مسند بغداد، وأبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، وأبي محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، وأبي الفوارس طراد بن محمد الزيني، وأبي عبد الله الحميدي، وتفقه عند الفقيه أبي بكر الشاشي وغيره، ثم رحل عنها سنة 487هـ، فسمع بدمشق من أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقديسي، وأبي الفرج سهل بن بشر الإسفراييني وغيرهما، وسمع بمصر من القاضي أبي الحسن علي بن الحسين الخلعي، وأبي العباس أحمد بن إبراهيم الرازي، وأجاز له بها أبو إسحاق الحبال مسند مصر في وقته ومكثها، وسمع بالإسكندرية من: أبي القاسم مهدي بن يونس الوراق، ومن أبي القاسم شعيب بن سعيد وغيرهما، ووصل إلى الأندلس سنة 490هـ، وقصد مرسية فاستوطنها<sup>2</sup>، فيكون عمره عندما ارتحل ورجع 29 سنة، وهو الذي يفترض أن تكون رحلة ابن رشد

1 أبو علي بن سكرة الصديقي حسين بن محمد بن فيرة [452-514هـ] من أهل سرقسطة استوطن مرسية، روى بسرقسطة عن أبي الوليد سليمان ابن خلف الباجي، وأبي محمد عبد الله بن محمد بن إسماعيل وغيرهما، وسمع ببلنسية من أبي العباس العذري، وسمع بالمرية من: أبي عبد الله ابن سعدون القروي، وأبي عبد الله بن المرابط، ورجل إلى المشرق عام 481هـ، في البحر ورجع من عامه،... ووصل إلى الأندلس سنة 490هـ، وقصد مرسية فاستوطنها وقعد يحدث الناس بجامعها، ورجل الناس من البلدان إليه، وكثر سماعهم عليه، كان عالما بالحديث وطرفه وعلله وأسماء رجاله، حافظا لمصنفاته ذكرا لمتونها وأسانيدها ورواتها وكتب منها: [صحيح البخاري في سفر] و[صحيح مسلم في سفر] و[كان قائما على الكتابين مع مصنف أبي عيسى الترمذي] استقضى بمرسية ثم استعفى سنة 507هـ، وأقبل على نشر العلم وبته، ذكر: أبو إسحاق بن الفاسي إبراهيم بن أحمد اللواتي [ت513هـ] أنه سمع من أبي علي عند إجازته البحر من سبتة إلى الأندلس في صدره عن المشرق صدر سنة 490 هـ، استشهد في وقعة قنطرة بنجر الأندلس سنة 514هـ، فهرس ابن عطية، ص99الصلة، ج1، ص143 شجرة النور، ص128

2 فهرس ابن عطية، ص99الصلة، ج1، ص143 شجرة النور، ص128

رفقته، لأنه الأقرب منه ميلادا، والأنسب سنا للرحلة، لأنه يكون قد بلغ 31 سنة. ورحلة  
أبا بكر ابن العربي محمد بن عبد الله بن محمد المعافري<sup>1</sup> [468-543هـ] من إشبيلية، رحل  
مع أبيه إلى المشرق سنة 485هـ، ولقي بالمهدية أبي الحسن بن الحداد الخولاني المهدوي؛ قال  
ابن العربي: كنت أحضر عليه كتابه المسمى بالإشارة وشرحها وغيرها من تأليفه، والإمام  
المازري، ومهديا الوراق، وأنه دخل الشام ولقي بها أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي  
وتفقه عنده، ولقي بها جماعة من العلماء والمحدثين، ودخل بغداد وسمع بها من أبي الحسين  
المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، وابن الشريف أبي الفوارس طراد بن محمد الزبيقي، وابن أبي  
بكر بن طرخان وغيرهم كثير، ثم رحل إلى الحجاز فحج في موسم 489هـ، وسمع بمكة من  
أبي علي الحسين ابن علي الطبري وغيره، ثم عاد إلى بغداد ثانية وصحب بها أبا بكر  
الشاشي، وأبا حامد الطوسي وغيرهما من العلماء والأدباء، فأخذ عنهم وتفقه عندهم،  
وسمع العلم منهم، ثم صدر عن بغداد ولقي بمصر والإسكندرية جماعة من المحدثين، فكتب  
عنهم واستفاد منهم وأفادهم، ثم عاد إلى الأندلس سنة 493هـ، وقدم بلده إشبيلية يعلم  
كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق<sup>2</sup>، كانت رحلته رفقة أبيه وعمره  
16 سنة، وعندما حج بلغ سنه 20 سنة، أما أباه أبا محمد عبد الله بن محمد بن  
العربي [435-493هـ]<sup>3</sup>، فيكون عمره عندما خرج مرتحلا حوالي خمسون [50] سنة<sup>4</sup>،  
وعندما حج يكون قد بلغ 54 سنة.

- 
- 1 أبو بكر ابن العربي أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري [468 543هـ]، انظر الإحالة رقم: 34
  - 2 ابن بشكوال: كتاب الصلاة، ج 2، رقم 1297، ص 558 559، المغرب، ص 254، وفيات  
الأعيان، ج 4، ص 296، ومحمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، رقم 408، ص 136.
  - 3 أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن العربي المعافري [435 493هـ]، من أهل إشبيلية، ورحل  
إلى المشرق مع ابنه أبي بكر في صدر سنة 485هـ، وحج وسمع بالشام والعراق والحجاز ومصر من  
شيوخ عدة، وشارك ابنه في السماع هنالك، وكتب بخطه علما كثيرا رواه، توفي منصورا عن المشرق بمصر  
في محرم سنة 493هـ، ومولده سنة 435هـ، ابن بشكوال: كتاب الصلاة، ج 2، ص 278 279،  
رقم: 634، الضبي: بغية المنتمس، ص 292، رقم 891.
  - 4 واضح أن هذا السن متأخر جدا، وأن سن ابنه أبا بكر متقدم جدا عن سن الرحلة في طلب العلم، مما  
يفسر بأن الرحلة كانت لأغراض أخرى، وقد تكون مهمة سياسية، وخاصة استعجالها دخول بغداد قبل

ورحمة أبا الحسن عباد ابن سرحان الشاطبي<sup>1</sup> [464-543هـ] من أهل شاطبة، روى ببلده قديماً عن أبي الحسن طاهر بن مفوز وغيره، ورحل إلى المشرق وحج ولقي بمكة أبا عبد الله الحسين بن علي الطبري وسمع منه، ودخل بغداد وسمع بها من أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي<sup>2</sup>، يكتشف تلمذه عن الغزالي، من خلال تلميذه ابن خير محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني [502-575هـ]<sup>3</sup> الذي أخذ عنه مؤلفات الغزالي، وأخذ ابن سرحان ببغداد بين سنة [488-493هـ]<sup>4</sup>، وكان مولده سنة 464هـ، وتوفي بالعدوة سنة 543هـ<sup>5</sup>، فتكون رحلته قد وقعت سنة 488هـ أو قبلها بقليل، فيكون عمره عندما ارتحل حوالي أربعة وعشرين [24] سنة.

الحج: إذ أن مبعوث المرابطين إلى الخلافة العباسية قد قبض عليه وقتل بمصر كما تقدم سنة 484هـ، فيمكن أن تكون المهمة نفسها التي كلف بها وقد رسمي يقوده الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن العربي [435 493هـ]، عمر بن حمادي: الفقهاء، ص 143.

1 أبو الحسن عباد ابن سرحان الشاطبي 464 543هـ من أهل شاطبة، أسمع بقرطبة، سكن العدوة روى ببلده قديماً عن أبي الحسن طاهر بن مفوز وغيره، ورحل إلى المشرق وحج ولقي بمكة أبا عبد الله الحسين بن علي الطبري وسمع منه، ودخل بغداد وسمع بها من أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، يكتشف تلمذه عن الغزالي من خلال تلميذه ابن خير الذي أخذ عنه مؤلفات الغزالي، وتجد ابن سرحان ببغداد بين سنة [488 493هـ] وكان مولده سنة 464هـ. وتوفي بالعدوة سنة 543هـ. الصلاة، ج 2، ص 428، رقم 972، فهرس ابن خير، ص 184، 122، 446.

2 الصلاة، ج 2، ص 428، فهرس ابن خير، ص 184، 122، 446.

3 أبو بكر ابن خير الإشبيلي محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني [502 575 هـ/.... 1179م] من أهل إشبيلية، مولى إبراهيم بن محمد بن يعقوب اللمتوني قال ابن الأبار: أخذ القراءات عن أبي الحسن شريح بن محمد ولازمه واختص به إلى حين وفاته، وعنده برع في الإقراء، وعليه عؤل، وسمع بقرطبة من أبي جعفر بن عبد العزيز، التكملة: طبعة دار الفكر بيروت، 1995، ج 2، ص 49، 50، رقم 132، والطبعة الأخرى، ج 2، ص 523 525، شجرة النور، ص 152.

4 عمر بن حمادي: الفقهاء ص 566.

5 الصلاة، ج 2، ص 428، فهرس ابن خير، ص 184، 122، 446.



## ج. استمرار الرحلات على رأس القرن ٥هـ

أما على رأس القرن السادس فنجد قرطيبيا رحل إلى المشرق وهو أبا الحسن بن حنين علي بن أحمد الكنايني<sup>1</sup> [477-569هـ] قرطبي استوطن فاس، روى بقرطبة عن أبي بكر خازم، وأبي الحسن العبسي، وتلا بالسبع عليه، وأبي عبد الله بن فرج، وأبي عمران النسيب، وأبوي القاسم: ابن الحصار وابن مدير وتلا عليه، وبها وبجيان عن أبي عامر محمد بن حبيب، وبالمرية عن أبي الأصبع عبد العزيز بن شفيح، وأبي بكر بن المقرح، وبها وأبغيرها من بلاد الأندلس عن أبي القاسم خلف بن محمد بن عقال، ثم رحل فحج ثلاثة حججات، أولاهن في موسم 500هـ، وروى في وجهته بقلعة حماد عن أبي بكر عتيق بن محمد الردائي، وبالْمَهْدِيَّة عن أبي القاسم بن الفحام، وبأطرابلس عن عبد المجيد بن محفوظ، وبالْإِسْكَانْدَرِيَّة عن أبي علي الحسن بن البلميمة، وبمصر عن أبي الفضل سلامة بن أبي عبد الله القضاعي، وحيدرة بن علي العسقلاني، وأبي علي عثمان بن الطيب الغرمي، وبإخميم عن أبي محمد عبد القوي بن محمد الجنتلي، وصحبه مسافرا في مركب منها إلى قوص، وبمكة، عن أبي الحسن رزين بن معاوية، وصحبه مدة مقامه بها، وابن العرجاء أبو علي الحسن بن عبد الله بن عمر القيرواني، وأبي منصور متان بن خرزاد، الهمداني مصنف [قصة يوسف] قال وكنت أكتب إليه وقت تأليفه إياه بإملائه، أو أمسك عليه المسودة ويكتب، وصحب بها الإمام أبا حامد الغزالي وسمع منه أكثر الموطأ رواية ابن بكير، وجملة من فوائده ودعا له، فأجيبت دعوته، وجال في بلاد العراق والحجاز، والشام ومصر،... وأقام بسيرفاز شريعة بيت المقدس تسعة أشهر، يعلم فيها القرآن، ثم قفل إلى المغرب فلقى بتمسين أبا بحر الأسدي، وروى عنه،... ثم ورد مدينة فاس سنة 503هـ، وعمره 28 سنة<sup>2</sup>، فيكون عمره لما ارتحل ثلاثة وعشرين [23] سنة، ومكث في رحلته ثلاث سنوات يحج كل سنة.

1 أبو الحسن بن حنين علي بن أحمد الكنايني 477 569هـ قرطبة استوطن فاس، سمي ابن حنين لتجديده مسجدا منسوباً لابن حنين والتزامه الإمامة به والتدريس فيه، ثم رحل فحج ثلاثة حججات، أولاهن في موسم 500هـ،... وجال في بلاد العراق والحجاز، والشام ومصر... ولقبه في تجواله أعلاما كبراء لم يعن بالأخذ عنهم. إذ لم يكن له كبير اهتمام بشأن الرواية، وأقام ببيت المقدس تسعة أشهر، يعلم فيها القرآن، ثم قفل إلى المغرب فلقى بتمسين...، الذليل، السفر 5، القسم 1، ص 150.

2 الذليل، السفر 5، القسم 1، ص 150

ورحلة أبا القاسم بن جهور عيسى بن إبراهيم القيسي [527هـ]<sup>1</sup> من أهل طليطرة سكن شريش، رحل إلى المشرق بعد 500هـ، ودخل بغداد وناظر هنالك الفقهاء، وأخذ عن أبي بكر أحمد بن علي ابن بَدْرَاق الخولاني، وأبي بكر محمد بن طرخان والشاشي، وأبي محمد بن علي الحريري البصري، صاحب المقامات فأخذها عنه<sup>2</sup>، ولم تذكر المصادر بأنه أدى فريضة الحج، وكذلك قصد الشام ابن نادر الميروفقي أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن نادر<sup>3</sup> [523هـ] من ميروقة رحل إلى المشرق ودخل دمشق سنة 505هـ، من فقهاء المالكية الذين أحكموا الفروع، وتمكنوا كثيرا من علم الخلاف، سكن الإسكندرية وتوفي بها سنة 523هـ، وصارت الرحلة إليه هناك<sup>4</sup>.

أما الفترة التي استعفي فيها من القضاء سنة خمس عشرة [515هـ] إثر الهيج الكائن بها من العامة وأعفي<sup>5</sup>، فقد وقعت فيها ثلاث رحلات، منها رحلة أبا بكر بن السراج محمد ابن عبد الملك الشنتريني [ت545]<sup>6</sup>، سكن إشبيلية، رحل إلى المشرق سنة 515هـ، فبرز مصر وأقرأ بها وحدث، وانتقل في وقت إلى اليمن<sup>7</sup>، وبعدها بقليل كانت رحلة أبا جعفر وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عميرة [470-577هـ]<sup>8</sup> بلسي من عمل لورقة، رحل إلى مرسية سنة 513هـ، فأخذ بها عن أبي علي بن سكرة ولازمه إلى أن استشهد، وأبي محمد بن أبي جعفر، ورحل إلى قرطبة سنة 515هـ، فلقى بها أبا عبد الله بن عبد العزيز بن أبي الخير،

#### 1 أنظر الإحالة رقم 106

2 ابن يشكوال: كتاب الصلاة، ج2، ص416

3 ابن نادر الميروفقي أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن نادر [523هـ] من ميروقة، من فقهاء المالكية الذين أحكموا الفروع، وتمكنوا كثيرا من علم الخلاف، سكن الإسكندرية وتوفي بها سنة 523هـ، عمر بن حمادي: الفقهاء، ص505

4 المصدر نفسه، نفس الصفحة

5 ابن فرحون الدينياج المذهب، ص344

6 أبو بكر بن السراج محمد بن عبد الملك الشنتريني [ت545]، شنترين سكن إشبيلية، راجع الإحالة رقم: 66، التكملة، ج2، ص472

7 التكملة، ج2، ص472

8 أبو جعفر وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عميرة [470 577هـ] بلسي من عمل لورقة قفل إلى بلده، وقد نال قسطا وافرا من العلم فتصدر للإفراء وإسراع الحديث، كان أدبيا إماما في الزهد والتصوف، توفي سنة 577هـ، وناهر المائة الذليل، السفر1، القسم1، ص264 265

وأبا محمد بن عتاب، وأبا الوليد بن رشد، فقرأ عندهم مدة، ثم رحل إلى مالقة، فتلا فيها بالسبع على أبي منصور بن الخير وأجاز له، وقفل إلى بلده، وقد نال قسطاً وافراً من العلم، ثم رحل إلى المشرق فأدي فريضة الحج وعاد إلى بلده، حيث أخذ في رحلته هاتمة عن ابن رشد بعد اعتزاله القضاء، ثم رحل حاجاً فقط، ولم يذكر أنه أخذ في رحلته عن أحد من علماء المشرق<sup>1</sup>، فهاتين الرحلتين وقعتا بالتأكيد بعد سنة 515هـ.

ويقابنها أجزاء المتبقي من حياة ابن رشد بعد تفرغه من سنة 515 إلى 519هـ، فإنه اشتغل بالتعليم والتأليف خصوصاً، وتوفرت له فرصة الخروج من قرطبة لكنه توقف بمراكش ولم يحج قال النباهي: تقلد قضاء قرطبة ثم استعفى وتفرغ لنشر كتبه، وقيل أن علي بن يوسف [476-537هـ] عزله لأنه اشتغل عن لقائه بتأليف كتاب البيان والتحصيل، وولي مكانه أبو جعفر بن حمدين، وفي سنة 519هـ جاز إلى مراكش، وأشار على أمير المسلمين ببناء سور مراكش لتحصينها، لما ظهر أمر المهدي<sup>2</sup>. وهناك رحلة ثالثة من الأندلس، لتلميذ آخر من تلامذته، وقصد الإسكندرية إلى ابن نادر الميروقي أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن نادر [523هـ]، قام بما الفقيه أبا عبد الله محمد ابن يوسف ابن سعادة المرسي<sup>3</sup> [496-565هـ] من أهل مرسية، سكن شاطبة رحل إلى المشرق سنة 520هـ، فلقي بالإسكندرية أبا الحجاج بن نادر الميروقي وصحبه وسمع منه وأخذ عنه الفقه والكلام، وأدى

1 الذيل، المفرج، القسم 1، ص 264 265

2 تاريخ قضاء الأندلس، ص 99

3 أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة المرسي [496 565هـ] من أهل مرسية، سكن شاطبة... ولقي أبا الطاهر بن عوف. وأبا عبد الله بن مسلم القرشي، وأبا طاهر السلفي، وأبا زكرياء الزياتي وغيرهم، فأخذ عنهم، ولقي في صدره بالمهدية أبا عبد الله المازري، فسمع منه بعض كتابه المعلم وأجاز له باقيه، وعاد إلى مرسية سنة 526هـ، كان مشاركاً في علم القرآن وتفسيره حافظاً للفروع، بصيراً باللغة والغريب، ذا حظ في علم الكلام ماثلاً إلى التصوف، وولي خطة الشورى بمرسية مضافة إلى الخطبة بجامعة، أخذ في إسماع الحديث وتدريس الفقه، ثم ولي القضاء بها بعد انقضاء دولة الملثمة. ونقل إلى قضاء شاطبة، فاتخذها وطناً، وكان يسمع الحديث بها وبمرسية وبنسبة، ويقبم الخطب أيام الجمع في جوامع هذه الأمصار الثلاثة متعاقباً عليها، ألف كتاب ضجرة الوهم المترقية إلى ذروة الفهم] لم يسبق إلى مثله، وليس له غيره و[جمع فهرسة حافلة] روى عنه، وذكره ابن عياد ووصفه بالثخن في المعارف، والرسوخ في الفقه وأصوله، والمشاركة في علم الحديث والأدب... ذو حظ من علم الكلام، توفي بشاطبة مصروفاً عن قضائهما في من سنة 566هـ، ومولده بمرسية سنة 496هـ، الحكمة، ج 2، ص 505 507، شجرة النور، ص 149.

فريضة الحج سنة 521هـ، ولقي بمكة أبا الحسن رزين بن معاوية العبدري إمام المالكية بمكة، وأبا محمد بن صدقة المعروف بابن غزال، من أصحاب كريمة المروزية، فسمع منهما، وأخذ عنهما، وروى عن أبي الحسن علي بن سند بن عيَّاش الغساني [ما حمل عن أبي حامد الغزالي من تصنيفه] ثم انصرف إلى ديار مصر فصحب ابن نادر إلى حين وفاته بالإسكندرية<sup>1</sup>. وسنة 520هـ، هي السنة التي توفي فيها ابن رشد، ولم تنقطع الرحلة من الأندلس إلى المشرق والمغرب والمغرب، طيلة حياة ابن رشد. أما الفترة الأخيرة من حياته منذ تخليه عن القضاء سنة 515هـ، فقد قصد به التفرغ للتعليم (استعفى وأكب على التأليف)<sup>2</sup>، ولكن خرجته إلى مراکش بعد استفحال ثورة المصامدة دليل على انشغاله بأمور أهم، وهي مصير دولة الفقهاء والقضاة، أمام خطر المصامدة الداهم.

ومن خلال هاته الرحلات التي كانت على رأس القرن السادس الهجري، والتي لم تثر اهتمام ابن رشد للقيام بفريضة الحج، تكون فرصته في الرحلة وآداء الفريضة قد فاتت، فهل بعد إثبات الرحلات التي وقعت منذ أن بلغ سن الرحلة، بناء على الرحلات التي وقعت في سن بلوغه، وهي تنحصر بين [23 إلى 29 سنة]، إذا استثنينا رحلة ابن عربي الذي أخذه معه والده في مهام أخرى وعمره ستة عشر [16] سنة، وأبيه كان سنه خمسون [50] سنة<sup>3</sup>. فهذه الرحلات كلها تجعل من ابن رشد غير معذور في عدم القيام بالرحلة إلى الحج، إذا قبل عذره في عدم القيام بالرحلة في طلب العلم، إلا أن يكون موقف ابن رشد مخالفا ومغايرا لأراء الكثير من الفقهاء، وخاصة الذين عرضوا حياتهم للخطر، رغم فساد السبيل، وغامروا

1 التكملة، ج2، ص505 507، شجرة النور، ص149

2 الحجوي: الفكر السامي، ص553

3 وقد عرفنا أن لهما مهمة أخرى خرج من أجلها، وقد تكون الرحلة العلمية مجرد تليس وغطاء فقط، وربما يزيدا في أخذ الحطة والحذر، فلم يقتل ولكنه مات في نفس المكان الذي قتل فيه مبعوث المرابطين إلى الخليفة العباسي، ولكننا وجدنا رحلة تقارب سنه وقعت لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن عمر بن سعيد المقرئ [472 547هـ] من أهل دانية، رحل حاجا منها يوم الإثنين 9 جمادى الثانية سنة 527هـ. وأدى الفريضة وسمع من أبي طاهر السلفي، ثم قتل راجعا إلى بلده فدخله ليلة عيد الأضحى سنة 530هـ. بعد إقامته في رحلته ثلاث سنوات، وتصدر للإقراء وسماع الحديث وتعليم العربية، فيكون عمره عندما قام بالرحلة حوالي خمسة وخمسون [55] سنة،

الذليل، السفر، 5، القسم 1، ص150

وتجشموا الصعاب في سبيل زيارة بيت الله الحرام وأداء الفريضة، وعددهم ليس باليسير، واستقل هو ومن كان على رأيه، بأن الفريضة تسقط بفساد السبيل<sup>1</sup>.

### خاتمة:

- ابن رشد الجند شخصية ذات مكانة علمية ودينية وسياسية، ويحظى بمكانة مرموقة في الأندلس رغم عدم قيامه بالرحلة في طلب العلم والحج - وتعتبر نقيصة في عهده - .
- برزت إلى الوجود أوضاع في الأندلس ربما أثرت على الرحلة الأندلسية: وعطلت الكثير من طلبه العلم والحجاج على الارتحال
- كما أن الأوضاع في المشرق بعد سيطرة العبيديين على مصر عقدت الأوضاع هناك، وساهمت في محاولة الحد من الرحلة أو التخفيف منها
- لقد ظهرت قرطبة كمركز علمي استقطب العلماء المرتحلين إلى المشرق، ووفرت لهم أسباب الاستقرار، مما جعلها تستقطب أنظار طلبه العلم في تلك الفترة فحجوا إليها من المشرق والمغرب.
- لقد تأثرت الرحلة إلى الحج بنفس الأوضاع، مما أدى إلى زهد الكثير من كبار علماء الأندلس في الرحلة إلى الحج، واقتنعوا بسقوط فرضيته بسبب فساد السبيل، مما حرم الكثير منهم من الزيارة وأداء الواجب.

1 فمن شروط الاستطاعة عند ابن رشد، الأمن على النفس والمال، من محارب غاصب لا سارق، ثمال له بال، بالنسبة للمأخوذ منه، فقد يكون الدينار له بال بالنسبة لشخص، ولا بال له بالنسبة لآخر، إلا أن يقل المال المأخوذ، بأن كان لا يضر بصاحبه، فلا يسقط الحج بخوف أخذه عند ابن رشد، وهو المعول عليه، إلا أن ينكث ظالم، أي يرجع لأخذ ثانيا بعد الأول، فإن خيف منه ذلك سقط وجوبه باتفاق ابن رشد وغيره، وإن قل المجموع، فإذا أمن على نفسه وجب الحج، أحمد الدردير: الشرح الصغير، وزارة الشؤون الدينية الجزائرية، 1413هـ/1992م، ج2، ص6-7